- الفصل الأول:

مدخل إلى علم اللغة الحديث

المبحث الأول: علم اللسان (تعريفه و مباحثه و مناهجه)

أولاً: تأصيل مصطلح علم اللسان:

مصطلح «علم اللسان» أقدم تسميات اللغة عند العرب، وهو مصطلح قرآني أصيل، و قد جاء في القرآن الكريم مفردًا «اللسان» بمعنى لغة القوم أو اللغة الأم، واستخدم جمعًا «الألسن» بمعنى اللغات البشرية[1].

واللسان في اللغة: المقول (جارحة الكلام وآلته)، يذكر ويؤنث، والجمع ألسنة فيمن ذكر مثل حمار وأحمرة، وألسن فيمن أنث مثل ذراع وأذرع؛ لأن ذلك قياس ما جاء على فِعال من المذكر والمؤنث، وإن أردت باللسان اللغة أنثت. يقال: فلان يتكلم بلسانَ قومه، وجاء في خطاب العرب بمعاني: اللغة واجة والكلمة والعبارة والرسالة والمقالة أو القول، واللِّسن: الفصاحة والبلاغة، واللسِن: الفصيح المفوَّه.

وقد ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم[2] بمعنى اللغة القومية والشعبية، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى:

(١) لقد بدأت الدراسات اللسانية الحديثة في الغرب في القرن الثامن عشر فرعًا في علوم أخرى كعلم المنطق والنفس والاجتماع، وتأثرت بالمناهج العلمية والتجريبية، ويرى الباحثون أن الدراسات اللسانية المستقلة بدأها دي سوسير أول القرن العشرين بمحاضراته قبيل وفاته ١٩١٣م، ولكنه اعتنى بالجانب المادي البنوي (الأصوات والجملة) دون المعنى متأثرًا بالمادية الغربية؛ فظلت جهوده عقيمة حتى تحول بعض الغربيين عن البنوية إلى الجوانب اللغوية الأخرى ذات القيمة الفاعلة والوظيفة، فانهارت البنوية أمام المذاهب الجديدة، وقد ظهر مصطلح «علم اللسان» (Linguistics) مستقلاً بمفهوم العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية أول مرة في ألمانيا، ثم استعمل وانتقل إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م تقريبًا، ثم إنجلترا سنة ١٨٥٥م تقريبًا.

(٢) جاء في أربعة عشر موضعًا: المائدة: ٧٨، إبراهيم: ٤، النحل: ١٠٣، مريم: ٥٠، مريم: ٩٧، طه: ٢٧، الشعراء: ١٣، الشعراء: ٨٤، الشعراء: ١٩٥، القصص: ٣٤، الدخان: ٥٨، الأحقاف: ١٢، القيامة: ١٦، البلد: ٩، بمعنى العضو الناطق وبمعنى لسان القوم (اللغة).

﴿بلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] في سياق دحض ادعاء المشركين أن النبى ﷺ تلقى القرآن عن أحد النصارى الجليب إلى مكة من بلاد العجم، قال أبو حيان: «واللسان في كلام العرب اللغة»(١). وقوله عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]؛ أي: مصدق التوراة، وعربيًا منصوب على الحال، المعنى مصدق عربيًا، وذكر لسانًا توكيدًا، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحًا، ويجوز أن يكون لسانًا مفعول اسم الفاعل «مصدق»، والمعنى: مصدق النبي ﷺ أي: مصدق ذا لسان عربي.

واللسن: الكلام واللغة، ولاسنه: ناطقه. ولسَنه يلسُنه لَسْنًا: كان أجود لسانًا منه، وأخذه بلسانه، قال طرفة:

وإذا تلسُنُني ألسُنُها ... إنني لستُ بموْهونٍ غَمِرْ

أي: أكلمها باللغة التي تفهمها واللسان الذي تريده.

واللسان بمعنى المقالة، قال كثيّر عزة:

نَمَتْ لأبي بَكْرٍ لسانٌ تتابَعَتْ ... بعارفةٍ منهُ فخصَّت وعمَّتِ

يريد: كلمة بني عامر أو مقولتهم، فأنثها.

وجاء وفي حديث عمر رضي الله عنه في امرأة: «إن دخلت عليك لسنتك» أي: أخذتك بلسانها، يصفها بالسلاطة وكثرة الكلام والبذاء. واللِّسَن، بالتحريك: الفصاحة. وقد لسن، بالكسر، فهو لسِن وألْسَن، وقوم لُسْن. واللَّسَن: جودة اللسان وسلاطته(٢).

وقد استخدم اللسان بمعنى اللغة المحلية ولغة القوم، وقد فسر بعض المفسرين قوله

(١) البحر المحيط، جـ٥/ ٥١٩.
(٢) اللسان: لسن.

تعالى: ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ أي: بلسان قريش، وبوَّب البخاري في صحيحه «باب نزل القرآن بلسان قريش»، وذكر قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»، أي: بلهجتهم[1].

وقد استخدم الرواد اللسان بمعنى اللغة القومية (لغة العرق والشعب)، فقالوا: لسان العرب ولسان الروم ولسان الفرس، واللسان العربي، والحبشي، والفارسي، وجاء في حديثهم عن الألفاظ التي توهمها بعض المتقدمين دخيلة في القرآن الكريم لعدم اطلاعهم على أصول العربية الأولى وأخواتها المعروفة بالسامية نحو: حوب وغساق، ونقل بعض العلماء هذا في كتبهم عن الأول نحو «قولهم: غساق: البارد المنتن بلسان الترك»[2]؛ أو المنسأة: العصا بلسان الحبشة؛ ومُزجاة: قليلة بلسان

(١) جاء في تفسير الطبري(ت ٣١٠هـ): «لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن»، و«لا تدافع بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب وألسنها»، «فنقول الآن . . . بأي ألسن العرب أنزل: أبألسن جميعها أم بألسن بعضها؟ إذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان»، و«صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع، إذ كان معلومًا أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة».

(٢) الإتقان، جـ١: ١٩٧، وبعض الأفعال والأسماء عزيت إلى الأصل الأعجمي نحو: بلع، روي عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال: ابلعي ماءك: اشربي بلغة الهند، وهو لفظ عربي أصيل بدليل وجوده في الحبشية أيضًا شقيقة العربية، والتي أرجح أنها لهجة عربية جنوبية قديمة تأثرت باللغات الإفريقية، وخاصة الكوشية، وورروي عن وهب بن منبه قال: ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء، قيل: وما فيه من الرومية؟ قال: فصرهن يقول قطعهن. وجاء في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس أنه قال: حوبًا إثمًا بلغة الحبشة، وعن ابن عباس قال: السجل بلغة الحبشة الرجل، وعن مجاهد قال: المشكاة الكوة بلغة الحبشة. وعن داود بن أبي هند قال: يحور: بلغة الحبشة يرجع، ومثله عن عكرمة وابن عباس، وعن سعيد بن جبير قال: يس: يا رجل، بلغة الحبشة، وهي ألفاظ عربية صريحة، والحبشية نفسها تعد لهجة عربية يمنية، والثابت أنها من اللغات الأوسطية، وإن صح وجود اللفظ فيها، فهو مما بقي فيها من اللغة الأم التي ولدت العربية أيضًا، والمعلوم أن «يس» صوتان عربيان (من الحروف المقطعة)، وتفسيره: يا سيد من التكلف، وقالوا أيضًا: طه: يا رجل بالحبشية، و«رجل» في الحبشية غيره، فهو في الجعزية الحبشية: رجر، قلبت اللام العربية إلى راء، وألفاظ الحبشية القحة غير المنقولة عن اللغات الإفريقية مثيلة للعربية نحو: رأس، عين، سن، ، ود: ولد، بنت، ست، لب: قلب، يم، بحر، أم، أب، وماي: ماء، وسماي، ومدر: طين، وأرض، وسنت وعمت: السنة، وبعضها محرف نحو: وود، وأنق: عنق، وإيد: يد، وقد تأثرت باليونانية قديمًا التي نشرت فيها المسيحية، وحاولت نشرها في اليمن وجزيرة العرب(ارجع إلى خبر غزو أبرهة مكة قبل الإسلام لتنصير العرب بأمر من روما).

العجم، وقيل بلسان القبط»[1]. وكثير من هذه الألفاظ بقيت في العربية وغيرها من أخواتها اللغات الأوسطية(السامية)، فتوهم بعض العلماء أنها دخيلة لوجودها في إحدى هذه اللغات، ووقع التوهم في بعضها مشابهة كتوهم بعض المعاصرين أن لفظ اللغة دخيل من اليونانية لوجود شبيه له فيها، ولا خلاف في أعجمية أعلام غير العرب ممن ذكروا في القرآن الكريم وأسماء بعض الأشياء الوافدة إلى بلاد العرب كالقنطار والدينار والدرهم، وما ثبتت أعجميته يقينًا من بنيته وما تعين قائله من غير العرب، وأنها خضعت للتعريب بالتغيير في بعض أصواتها وبنيتها بيد أن المفردات التي دلت على معان معجمية في سياقها عربية خالصة، وما قيل فيه ظنًا لا يعتد به نحو: قيل بلسان كذا، دون مصدر يؤكده، والذين استعبدوا أعجمية بعض الألفاظ التي قيل إنها أعجمية، واستدلوا بالنص في عربية القرآن الكريم على صواب باعتبار اللفظ المعرب عربي بعد خضوعه للنطق العربي والتصريف، فماثل أصوات العربية، ولكنه ليس عربيًا قحًا كصريح النسب في العروبة، فهو أشبه بمن استعرب، فصار عربي اللسان، فكذلك اللفظ المعرب أو المستعرب، ومن قال هو أعجمي على صواب باعتبار أصل مادته الوافدة إلى العربية من ألسنة الأعاجم.

وأصالة لفظ «اللسان» في الدلالة على اللغة أقدم من مصطلح «اللغة» نفسه الذي استخدم أول أمره مفردًا وجمعًا بمعنى اللغوة أواللهجة واللهجات، ثم توسعت دلالته، فأطلق على اللغة الأم، وقد اشتهر بين الجاهليين والإسلاميين فعبروا عن الكلام باللسان، وهو أبلغ تعبيرًا وأيسر فى الاشتقاق والنسب، وقد شاع في الاستعمال، ووقع منه الاشتقاق، فقد عبروا عن البلاغة باللُّسْن، ووصفوا البليغ المفوّه باللَّسن، وقد عبر القرآن الكريم عن حسن التبيين بفصاحة اللسان قال تعالى: ﴿**وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ**﴾ [القصص: ٣٤]، ناهيك بأهمية آلة الكلام (اللسان) فى الكلام أو الأداء الصوتي، والعرب تقول لسانه زَرِب، وسليط اللسان أى مثل السيف

(١) انظر الإتقان، جـ١/ ١٩٩، وبعض الأسماء التي يحتمل أنها من أصول أعجمية: ما روي عن الضحاك أنه قال: إستبرق: الديباج الغليظ بلغة العجم، وعن سعيد بن جبير قال: القسطاس بلغة الروم الميزان.

الحاد القاطع، وفلان مقْوَل، ومعقود اللسان، ويقولون في خلافه: عيّ اللسان: الضعف في الإبانة، وعُقدة اللسان، ومعقودة اللسان، وعَيّ في منطقه: غير مبين في خطابه.

ولا شك أن لفظ اللسان هنا أبلغ من غيره؛ فهو آلة الكلام الرئيسة، فجعلته العرب الأقحاح دليلاً عليه مجازًا، وهو يوحي بالبلاغة والتمكن، ولهم في اللسان مآثر ودرر، قال عمر بن الخطاب في ابن عباس رضي الله عنه: «ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَى الكُهُول لَه لِسَانٌ سَئُولٌ، وقَلْبٌ عَقُولٌ»(١).

و«اللسان» فى الإفراد أقيس فى الاصطلاح، فلا يعدل عنه إلى الجمع لغير ضرورة كالمماثلة مع مصطلح آخر يلتبس به، أو للتفريق بين المعانى الاصطلاحية والمعاني المعجمية العامة أو لعدم وضوح العمل بالمفرد، أما الاستحسان عن غير علة فلا اعتبار له فى العلم، وينبغي على المخالفين العمل بشروط وضع المصطلح، وقد عملت بها في اختيارى، فواقعها مصطلح «علم اللسان»، ولا أدري لماذا يخروجون عن القياس اللغويفى الاصطلاح الذى يعد معيارًا موحدًا، فيقولون مثلاً: علم السرديات والسردانيات والمسردية، والأسلوبية والأسلوبيات، والأقيس أن لا يجمع المصدر، فيقال السرد، والمصدر الصناعى لا يقدم على المفرد فى الكلام العربي في الاصطلاح، فالأقيس علم الأسلوب، ويستبعد الأسلوبية، ولا يجمع المفرد فى الاصطلاح لغير ضرورة، فالأقيس الأسلوب، وليس الأسلوبيات فيما ليس فيه لبس أو مشابهة ناهيك بما به من الثقل، ومن العبث أن نستخدم المسردية والسردانية والمسرديات بديلاً المصدر القياسي«السرد»، وأزيدك أن «السرد» يدل على درجة السرعة في الأداء (Tempo)، والأصوب القص أو الحكي، ولم يستخدم الأوائل السرد بمعنى القص، بل استخدموه بمعنى الوصل والتداخل، وهو قريب من وصل الكلام أو الحدر فيه أو الإسراع، وهذه الأبنية الشاذة تفضح جهل مستخدمها بالعربية وإسرافهم في تعاطيها وتكلفهم معانيها، وهذه الظاهرة أشبه بالوباء الذى يستوجب مقاومة ومنعة.

(١) اللسان في اللغة: جارحة الكلام، وآلته، والمقول، وجاء بمعنى اللغة واللهجة والكلمة والقول والرسالة في كلام العرب. ارجع إلى: لسان العرب، مادة: لسان.

علم الألسن: تقدم أن علم اللسان مسمى العلم العام وما تفرع عنه من ألسنة، ولكن علم الألسن: علم اللغات العالمية وقضاياها (أصول اللغات العالمية وتعددها والترجمة والتفاعل بين اللغات وما ينتج عنه من الغلبة والاستعارة والتأثير وتعليم اللغات الأجنبية وأثرها في اللغة الوطنية والمحلية وبحث البحوث المتعلقة بتوحيد الألسن العالمية ووضع القواعد العامة)، وقد استخدم بعض الباحثين لفظ الجمع «علم الألسن»، بمعنى العلم اللساني العام، وهو غير دقيق، والصواب أن يخصص هذا المصطلح بلفظ الجمع لعلم يدرس الأسر اللغوية واكتشافها وخصائصها التي تجمع بينها أو تفرق بين اللغات المتباينة وقضايا اللغات العالمية والمقارنة بينها وتعليم اللغات الأجنبية.

والطريف أن مصطلح «اللسان» استخدمه رواد النهضة المصرية في عصر محمد علي(١٨٠٥ : ١٨٤٨م)، ومنهم الرائد العظيم رفاعة الطهطاوي(١٨٠١ : ١٨٧٣م، ١٢١٦ : ١٢٩٠هـ) الذي ألف بعض المقررات التعليمية في علوم اللسان والتعليم والتربية، وأنشأ «قلم الترجمة» (مركز الترجمة)، ثم «مدرسة الألسن»(كلية الألسن لاحقًا)، لتعليم العربية والألسن الأجنبية معًا؛ لتخريج المترجمين في كل التخصصات والقيام بأعمال الترجمة، وقد ترجم عن الفرنسية.

وقد استخدم لفظ «اللغة» أولاً لمعنى اللهجة، نحو: لغة طَيئ، وقريش، وقيس، وكنانة، وبكر، وتغلب، وربيعة، ومضر، وتميم، وغطفان[1]، ثم عم استعماله بمفهوم اللسان في القرن الثاني تقريبًا، واستخدم أيضًا بمفهومه الأول(اللهجة)، وأشهر من استعمله بمفهوم اللسان ابن جني (٣٩٣هـ) الإمام الفذ والمنظر اللساني العالمي، وهو صاحب تعريف اللغة المشهور(اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) الذي لا نظير له في تعريفات الغربيين دقة ووضوحًا وإيجازًا[2]، وقد شاع بمفهوم (علم اللسان) في القرون التالية دون مفهوم اللهجة، وقد استخدمه رواد البحث اللساني الحديث في مصر، ولا حرج في استعماله، بيد أن تقديم «اللسان» عليه أولى لما قدمت.

(١) النوع السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز) في الإتقان: جـ١ / ١٩٠- ١٩٣.
(٢) قال: «حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، الخصائص لابن جني، جـ ١/ ٣٣.

وجاء اللَّغْو مصدراً بمعنى ما لا يعتد به من القول، قال تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وقال الشاعر:

ولستَ بمأخوذ بلغو تقوله ... إذا لم تعمّد عاقدات العزائم

واللغو: القول الفاسد والتشاغل به[١]، واللَّغْوَة: المرة منه، وقدأُطلقت أيضًا على «اللهجة».

وقد استعمل في مصر مصطلح «علم اللغة» حديثًا، وأطلق «اللغة» على المؤسسة التي خصصت لمعالجة قضايا اللغة العربية الحديثة «مجمع اللغة العربية» عام، واستخدمه جيل الرواد في مصر، ومنهم الدكاترة علي عبدالواحد وافي الذي اتخذه عنوان كتابه «علم اللغة»١٩٤١م ـ وقيل هو أول من استخدمه ـ ومحمود السعران وإبراهيم أنيس ـ رحمهم الله تعالى ـ واستخدمه أيضًا الرواد العراقيون، وقد استخدم معظم المغاربة مصطلح «اللسانيات»، وقد شاع بينهم أيضًا «الألسنية»، وقد توهم الدكتور عبد السلام المسدي أنه أقدم المصطلحات تاريخًا؛ لأنه صيغ في فلسطين منذ ١٩٣٨م ـ حسب قوله ـ ثم انتشر في لبنان[٢]، والصواب أن مصطلح اللسان سبقه في أعمال الرائد العربي رفاعة الطهطاوي(١٨٧٣م)، وقد استعمل المستعربون الذين درسوا في الجامعة المصرية(١٩٠٨م) (جامعة القاهرة لاحقًا)مصطلح «اللغة»[٣]، وقد

---

(١) **اللغة**: أصْلها لُغْوَة منْ لَغَا إذَا تَكَلَّمَ، اسم منقوص، واللُّغَة: اللَّسَن، وحَدُّها أنها «أصْوَاتٌ يُعَبِّرُ بهَا كُلُّ قَوْم عَن أغْرَاضهم»، ووزنَها فُعْلَة منْ لَغَوْت، أي: تَكَلَّمْت، وأصلها: لُغْوَة ككُرَة وقُلَة وثُبَة، لامَاتُهَا وَاوَات، وقِيلَ: أصلها: لُغَي أو لُغَو، والهاء في آخرها عوَض، وجمعها: لُغًى مثْل بُرَة وَبُرًى، ولُغَات ولُغُونَ، والجمع: ينصب بالفتحة على أنه جمع تكسير أو بالكسرة على أنه جمعَ سالمٍ، مثل: بنات، والنسبة إليها لُغَوي ولاَ تَقُلْ: لَغَويٌّ. و« إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَفعَ بالإعْرَاب فَاسْتَلْغهمْ أي: اسْمَعْ منْ لُغَاتهمْ منْ غَيْر مَسْأَلَة»؛ واللغو واللغا واللغْوَى: السَّقَط وما لا يعتَد به من كلام وغَيره، ولا يحصل منه عَلَى فَائدة ولا على نفع، وما كان من الكلام غير معقود عليه. اللسان: لغو.

(٢) جاء هذا في مقال نسب إليه على شبكة المعلومات موقع جريدة الرياض.

(٣) أشهرهم كازنوفا الفرنسي انتدب للتدريس بالجامعة المصرية (١٩٢٥م) مادة فقه اللغة العربية، وبعضهم درس بالمعهد الفرنسي بالقاهرة كلويس مانسيون ومعهد الدراسات الشرقية، وبعضهم أصدر دراسات لغوية عربية، منهم إسرائيل ولفنسون الأستاذ في الجامعة المصرية الذي كتب «اللغات السامية».

جاء فى كتابات طه حسين الأولى في حديثه عن لغة العرب في الشعر الجاهلي (في الأدب الجاهلي)١٩٢٧م، وقد استخدم في العراق وسوريا ولبنان أخيراً اللسانيات[١]، ويرجع شيوع صيغة الجمع واللاحقة الصناعية في ذيول المصطلحات إلى تأثير الفرنسية في بعض الباحثين العرب في المغرب العربي والشام، ثم فشت عنهم إلى سائر باحثي العرب المشدوهين بالغريب! ومن مضحكات البحث العلمي أن علماء العربية عقدوا مؤتمراً لفض الاختلاف في تسمية علم اللسان (١٩٧٨م)، فزادوا الاختلاف تعقيداً، وتولى كل واحد منهم كبره، وطرح مصطلحاً، واقترح بعضهم مصطلحين، فأكثر!

ومصطلح «العلوم اللغوية» بمعنى علم اللغة فى الدرس المعاصر غير دقيق؛ لأنه فى الدرس القديم يشمل كل فروع اللغة العربية، وقد أُستخدم علوم اللغة واللغويات أو اللسانيات جمعًا بمعنى موضوعات علم اللسان أو فروعه ومباحثها: الأصوات والأبنية والجمل والدلالة، وقد استخدم ابن خلدون اللغة جمعًا «اللغات» في حديثة عن العلوم التي تدرس ضمن اللغة العربية، واستخدم السيوطي «علوم اللغة» بهذا المفهوم في كتابه «المزهر»، وهو بهذا المفهوم في الحديث المعاصر عن البحث فى فروع اللغة اللغة العربية أو حقول البحث اللغوي.

وتسمية علم اللغةالحديث نفسها لا تزال موضع خلاف، إذ تتنازع هذا العلم تسميات كثيرة، أكتفي منها بـ(علم اللغة) و(الألسنية) و(اللسانيات)، وقد شاع استخدام «علم اللغة» في مؤلفات رواد علم اللسان الأوائل في مصر، وقد شاع في سوريا «اللسانيات»[٢]، وتسرب إلى بعض دول الخليج تأثراً بأعمال المغاربة الذين أسند إلى وضع المناهج الدراسية وببعض الاتجاهات الحداثية التي تميل إلى طروح

(١) استخدمه د. مازن الوعر ود. منذر العياشي، وجاء فى عنوان ندوة جامعة دمشق «الدورة العالمية للسانيات» في عامين متتاليين ١٩٨٠ و١٩٨١م. واستخدمه في العراق مجيد الماشطة صاحب الترجمات الذائعة.

(٢) استخدمه د. مازن الوعر ود. منذر العياشي، وقد عقدت جامعة دمشق «الدورة العالمية للسانيات» في عامين متتاليين ١٩٨٠ و١٩٨١م. وشاع في العراق أيضًا فى أعمال مجيد الماشطة صاحب الترجمات المتميزة.

بعض المغاربة المفرنسين، وقد استخدم الدكتور حمزة المزيني السعودي مصطلح االلسانيات، وقد قامت بعض الدوريات الأدبية والنقدية واللسانية بطرح بعض المصطلحات المحدثة في المجال اللساني، وبعض الدوريات يحررها مغاربة، وأذاعوا فيها مصطلحاتهم، وكثيرها لا يمثل الاتجاه الذى يحرص على تأصيل المصطلح العربي الأصيل والاستلهام من التراث، والاستعارة عن وعي بالمستعار الدخيل، وبعض المغاربة من أهل العروبة والإسلام يقتفون آثار العربية، ويستنهضون مصطلحاتها.

وقد استخدمه كثير من الباحثين عنوان كتبهم وبحوثهم، وأطلق على بعض الندوات والمؤتمرات اللسانية، وقد أوصى بعض المشاركين في «ندوة اللسانياتو اللغة العربية» التي عقدت في تونس عام ١٩٧٨م باستخدامه بدل «الألسنية» المتداول فى لبنان وسوريا والمغرب العربي، وبعض الباحثين استخدم «اللسانيات الحديثة» و«علم اللسانيات الحديث» و«اللّسانيات الحديثة» و«اللغويات الحديثة»، ترجمة مصطلح (Modern Linguistics)، وترجمته الدقيقة: (علم اللسان الحديث)، فاللاحقة هنا ليست للجمع، بل للدلالة على العلم، وقد حل مصطلح اللسانيات محل«علم اللغة» الذي استخدمه الرواد المصريون، ويراد باللسانيات جمعًا الدرس اللغوي الحديث، وكان الأقيس أن يستخدم المفرد «اللسان» لثلاثة أوجه: أولها ـ أنه الأصل المصطلح عليه في هذا العلم، وقد جاء بهذا المفهوم في القرآن الكريم، ولا يعدل عن اصطلاح القرآن الكريم إلى غيره. والثاني ـ أنه أقدم في الاستعمال من اللغة، وهو أولى بالتقديم عليه، والثالث ـ أن العمل بالجمع في حضور المفرد المصطلح عليه غير جائز إلا في اللبس والتماثل في المعنى والتفريق بين المعاني.

واللسان مشتق من لسن، بمعنى فصح واللسان في اللغة آلة الكلام وأداه بلع للطعام، وأطلق مجازًا على اللغة؛ لأنه أهم عضو نطقي يفسد الكلام دونه، ولفظ اللسان مذكر، ولك أن تؤنثه باعتبار دلالته على آلة النطق واللغة، فتقول: لسان عربي، وعربية. وقد صار استخدام مصطلح علم اللسان مخصوصًا بالدراسات اللغوية

الحديثة، وقد أسرف في استخدامه بعض المغاربة الذين يتحمل بعضهم وزراً كبيراً من إشاعة بعض المصطلحات الفاسدة بنية ودلالة في بعض الحقول المعرفية وأكثرها علوم العربية تأثراً بالغربيين وجهلاً بصياغة المصطلح واستخدامه، والحمد لله أنه ليس عامًا فيهم بل فيمن لا يجيدون العربية، وأهل الولاء منهم أصحاب علم وفضل وثقة، وما يزنُّوا بريبة[1].

وفضل بعض الباحثين مصطلح الألسنية المتأثر باللاحقة الفرنسية في المصطلح الفرنسي، وهذا المصطلح مشهور بين باحثي الشام والمغرب العربي، وتفلت إلى بعض المصريين، وقد فضل الدكتور أحمد مختار عمر لفظ (الألسنية)، وقد قدم لذلك عددًا من المسوغات، منها أن مصطلح (علم اللغة) قد مر بمراحل قديمة وحديثة، وتعاورته مناهج متفاوتة قديمة وحديثة، فصار يحتاج إلى وصف توضيحي، يحدد معالمه، أو منهجه، كأن يقال: «علم اللغة الحديث» أو «علم اللغة العام»، وأنه قد يختلط بمصطلح «فقه اللغة»، وهو ترجمة غير دقيقة للمصطلح

(١) عُقدت ندوة بتونس نظمتها الجامعة التونسية (١٣ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٨م)، عنوانها «الألسنية واللغة العربية»، وقد اصطلح المشاركون فيها على استخدام مصطلح «اللسانيات»، وأقروه في التوصيات؛ لأنه أيسر المصطلحات وأسلسها وأقربها إلى روح العربية - حسب رأيهم - ورأى بعضهم أن التمسك بـ (علم اللغة) للدلالة على اختصاص معرفي ليس من الوجاهة في شيء، وليس مما جرت به الأعراف، إذ لو كان الأمر مستساغًا لظللنا نقول (علم المادة) بدل الكيمياء، أو (علم الحركة) بدل الفيزياء، أو (علم الأرض) بدل الجغرافيا، وقد آثر الناس - في ذلك كله - اللفظ الدخيل على العبارة المزدوجة، فمن الأحرى عندما يتيسر لنا العثور على لفظ عربي فصيح غير ملبس. وقد أجمع الحاضرون على الالتزام بهذا المصطلح الموحد، فصدرت في ذلك توصية حاسمة تضمنها المجلد الذي ضم وقائع الندوة، ونشره مركزالدراسات التابع للجامعة التونسية عام ١٩٨١م، وأقره منظمو الندوة بديل الألسنية، وبادروا بالامتثال لتوصية الجمهور، وأقروا بوجاهة التوحيد، وأصدروا المجلد الجامع لوقائع الندوة تحت عنوان «اللسانيات واللغة العربية» لا «الألسنية واللغة العربية»، وقد ذكر الدكتور المسدى هذا فى جريدة الرياض، والطريف فى مقال الدكتور المسدي أنه أطلق على المشاركين من مصر فى الندوة «المشارقة» يريد من شرق إفريقيا في مقابل المغاربة، ولا يحمل على الوافدين من الجزيرة العربية، فالمصريون قلب العالم العربي أو الأواسطة قياسًا على المشارق العراقيين والشاميين والمغاربة، وكانت دول الخليج ساقطة من المشارقة في قولهم.

الغربي «الفيلولوجي»[1]، وأن لفظ «لسان» عندالعرب تعني «اللغة»، وأنه ورد في القرآن الكريم ثماني مرات، ولم يستعمل كلمة «لغة» التي هي يونانية الأصل ـ حسب توهمهم ـ بل أطلقها العرب الأوائل على اللهجة كأن يقال: لغة هذيل، ولغة طيّئ، ولغة تميم وغيرها، واستعمل بعض العلماء مصطلح «علوم اللسان العربي»، ومنهم الفارابي وابن خلدون، واحتج أصحاب هذا الرأي أن أوائل اللغويين المحدثين استعملوا (الألسنية)، ومنهم الأب مرمرجي الدومنيكي عام ١٩٣٧م كتاب

(١) كان الدكتوران تمام حسان وأحمد مختار عمر ممن شاركا في ندوة «الألسنية واللغة العربية» بتونس (١٩٧٨م)، وقد شارك د. حسان بحث «إعادة وصف اللغة العربية ألسنيًا»، وشاركد. مختار عمر ببحث «المصطلحات الألسنية في اللغة العربية»، وقد أجازاهما وغيرهما «اللسانيات»، وأجازته الندوة، ولكنهما ظلا على المصطلح الشائع علم اللغة فيما كتباه. فقد استخدما مصطلح اللغة، وقال الدكتور حسان معتذراً عن تراجعه عن استخدام اللسانيات في هامش كتابه الأصول: «في الندوة التي عقدت في تونس . . . جرى الاتفاق بين الحاضرين من المشتغلين بالدراسات اللغوية على تسمية علم اللغة باسم اللسانيات، غير أنني أفرق هنا بين مصطلحات جرى استعمالها فعلاً على أقلام المؤلفين لأوضح الفارق بين كل منهما (يعني علم اللغة وفقه اللغة)، ومن هنا أحتفظ مؤقتًا بمصطلح علم اللغة. (ارجع إلى الأصول، ط الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨١، ص٢٥٥)، وقد ذكر (في ص ٢٦٦) أن ندوة تونس اصطلحت على اللسانيات، وأن ما منعه من استخدامه أنه غير مألوف، وأنه لم يشتهر إلى جوار اللغة، والطريف أن الدكتور حسان استخدم مصطلح إيبستمولوجي في عنوان كتابه الأصول، ولم يرجع عنه في تعديل عنوان الكتاب (الأصول: «دراسة إيبستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي)، وجاء في الطبعة الثانيةالمصرية: «دراسة إيبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب»، ولكن الدكتور أحمد مختار عمر جمع بين المصطلحين، فقد استخدم علم اللغة في كتبه، واستخدم الألسنية فى مقالاته، ولم يرغضاضة في استعمال ألفاظ أخرى، مثل لفظ الألسنية ذاته، وقد كان من المصرين على نبذه في ندوة تونس، فقد ارتأت مجلة عالم الفكرالرائدة أن تخصص عدداً لهذا الحقل المعرفي، فاختارت له اسم «الألسنية»، وشارك فى هذا العدد د. أحمد مختار عمر، وكتب فيه دراسة محورية افتتاحية عنوانها «المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية»، وصدر العدد (مج ٢٠ – ع ٣ – أكتوبر ديسمبر ١٩٨٩م)، ولكن الدكتور المسدي اعترضه؛ لأنه استخدم الألسنية، ثم أمسك عنه بعد أن اصطلح المشاركون في ندوة تونس على اللسانيات الذى سلم به، ولكن الدكتور محمود فهمى حجازي الذى شارك في الندوة لم يعدل بعد الندوة عن «علم اللغة» الذى جعله عنوان كتابيه مدخل إلى علم اللغة وعلم اللغة العربية، وكتابه علم المصطلح الذي وصفه باللغوي، وأشرف على رسائل ودوريات تحمل اسم علم اللغة، واستخدم الدكتور كمال بشر علم اللغة العام وكذلك عوني عبد الرءوف، وعبد الصبور شاهين ورمضان عبد التواب رحمهما الله.

«المعجمية العربية في ضوء الثنائية والألسنية السامية، واحتج أحمد مختار عمر للأخذ بالالسنية، أن المجمع اللغوي المصري أجاز النسب إلى الجمع، كقولهم (أصولي) و(إخباري) و(فرائضي)؛ ولذا صح القول (ألسنيّ)، وأن الأخذ بمصطلح (اللسانيات) سيجعل النسب الى هذه اللفظة غير مستساغ، فليس مقبول القول (لسانياتي) و(دراسات لسانياتية)، والصواب النسب إلى المفرد، فيقال: لساني ودراسات لسانية، وفي هذا خروج عن المصطلح، وصعوبة في التصرف فيه، ولكن الألسني ةقابل للتصرف، إذ يقال: دراسة ألسنية، وعالم ألسنيّ، وهذا حجة على صاحبه؛ لأنه أوقع النسب إلى لفظ الجمع مخالفًا الأصل في النسب إلى المفرد ومنصرفًا عن لفظ القرآن الكريم الذي لا يصح العدول عنه، ولكن الدكتور عمر لم يستخدم الألسنية عنوان كتابيه «علم اللغة الحديث» و«محاضرات في علم اللغة الحديث»، ولعله خشي عدم رواج كتابيه بهذه التسمية المتحدثة، وقد رد بعض الباحثين هذه التسميات المحدثة إلى الرغبة في التجديد، وأرى أن مبعثها التأثر بصيغ الزيادات في المصطلحات الغربية وأثر الفرنسة الظاهر الذي بلغ عمقه في نفوس أصحاب الهوى الغربي من المتغربين وبعض ضعاف المؤنة من الباحثين المقلدين وغير ذوي الفطنة إلى ما يكتبون، وقد زعم بعض المتغربين أنه تجديد في المصطلح وتطوير في البحث بمقتضى الحداثة والمعاصرة، وغفلوا أن ألفاظ المصطلحات اصطلاح ومفاهيمها ثابتة، ولا يجري عليها التطور الذي يجري في معاني الألفاظ العامة، وأنه لا يجوز العبث بالمصطلح التراثي ولا يجوز استخدام اللفظ الدخيل بدل اللفظ العربي الأصيل الذي يغني عنه، وعلم اللسان علم عربي أصيل قديم ظهر بعد ظهور الإسلام، وله مصطلحاته العربية الدالة على مفاهيمه، واصطلح عليها علماء قرونًا حتى عصرنا الذي ابتلينا فيه بالرويبضة، وعلم اللسان الغربي محدث لا يتجاوز مائتي سنة.

وقد حاول مستخدمو هذه التسميات المتأخرة طرح تصانيف جديدة لعلم للسان وتحاليل جديدة للنصوص وتفاسير جديدة الظواهر اللغوية من الدراسات الغربية التي فلسفت اللغة، ونحت بها نحوًا أخرجها عن موضوع علم اللسان(دراسة الأصوات والبنية والجملة والدلالة).